بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

واضرب لهم مثلا - الحلقة : 28 - ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

22-05-2020

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، نحن مع برنامج جديد عنوانه : "واضرب لهم مثلاً"، يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الحشر: 21]

ويقول أيضاً :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت: 43]

فضرب المثل منهج قرآني أصيل ، يتبعه القرآن الكريم لإيصال الحقائق إلى الناس .

أيها الأخوة الأكارم ؛ أيتها الأخوات الكريمات ؛ أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بالخير ، واليمن ، والبركات، والطاعات ، معاً وبصحبتكم نبدأ حلقة جديدة من برنامجنا : "واضرب لهم مثلاً" ، نضرب فيه الأمثال مع فضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم ورحمة الله سيدي .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وبارك الله بكم .

الدكتور بلال :

وبكم سيدي ، ونفع بكم .

سيدي ؛ الآيات اليوم في ختام سورة التحريم ، يضرب الله فيها مثلاً ، والحلقة اليوم مخصصة للنساء ، وللمرأة ، وشأنها عظيم في دين الله ، فالله تعالى يضرب مثلاً للذين كفروا قال :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾

[سورة التحريم: 10]

وفي الطرف المقابل :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة التحريم: 11]

إلى آخر السورة .

سيدي ؛ هذا المثل هنا حينما يتحدث عن المرأة ، وكيف هي مؤمنة و زوجها كافر ، والعكس بالعكس ، ما الفائدة من ذلك ؟

استقلال كل إنسان في دينه عن الطرف الآخر :

الدكتور راتب :

الأصل في ذلك الموضوع - بارك الله بك على هذا السؤال - أن الإنسان أي إنسان كان ذكراً أو أنثى مستقل في دينه عن الطرف الآخر ، قد يكون الزوج مؤمناً والزوجة مقصرة ، أو غير منضبطة ، هو يكافأ على استقامته ، وهي تحاسب على تفلتها .

شريكان ، زوجان ، أخوان ، صديقان ، جاران ، الإيمان أولاً فردي ، وجماعي ، فردي :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾

[سورة النساء: 147]

تصور الآن يوجد مليارا مسلم بالضبط ، لو شاب وحده خاف من الله ، واستقام على أمره ، وطبق أمره في الدوائر الثلاثة التي يملكها ، نفسه ، وبيته ، وعمله ، يقطف كل ثمار الدين ، الدليل :

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾

[سورة النساء: 147]

فالإسلام فردي ، أما الأكمل فأن يكون الزوجان مؤمنين ، الصديقان ، الطالبان ، الشريكان ، الجاران ، هذا الأكمل ، لكن لو فرضنا حالات نادرة ، الإسلام فردي ، بمعنى أن الفرد وحده يقطف ثماره .

الدكتور بلال :

مسؤول .

الجماعة رحمة :

الدكتور راتب :

مسؤول عما يفعل ، أما الجماعة فرحمة ، لماذا ؟ أنت عندما تكون وحدك مسلماً تستوحش أحياناً ، لأن العالم كله ضدك ، لذلك الله ماذا قال ؟

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة النور: 31]

إذا انتشر الإيمان فالاستقامة سهلة ، والحلال سهل ، والحرام بعيد عنه أنت ، أما معظم الناس بالحرام ماشية ، والتفلت ، والاختلاط ، والشاشات الغير منضبطة ، فأنت تستوحش ، لذلك :

((إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى يومئذ للغرباء))

[أبو يعلى والبزار في مسنده والإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص]

((أناس صالحون في أناس سوء كثير))

[الطبراني والإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو]

لكن :

((اشتقت لأحبابي ، فقال الصحابة الكرام : أو لسنا أحبابك ؟ قال : لا ، أنتم أصحابي ، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان ، القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر ، أجرهم كأجر سبعين ، قال: منا أم منهم ؟ قال : بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون))

الدكتور بلال :

الله أكبر ! إذاً مع عظم الابتلاء لكن الجزاء عظيم ، على قدر المشقة .

الدكتور راتب :

كل شيء بسعره .

الدكتور بلال :

كل شيء بثمنه ، جزاكم الله خيراً .

إذاً هذه الآية أليست حجة على المرأة ؟ تقول : زوجي ألزمني بذلك ، أنا لا أريده ، لكن زوجي لا يريد الالتزام ، لا يريد الحجاب ، أليست امرأة فرعون حجة عليها ؟

المرأة مستقلة في دينها عن زوجها ومساوية له في التكليف :

الدكتور راتب :

أنا أقول كلمة : ذكر أو أنثى ، إن لم يكن في حياته كلمة لا ، ليس مؤمناً ، هذه الصفقة لا ترضي الله ، فك الشركة ، هذه الزوجة لا تناسبني ، هذا الصديق يضلني ، عندنا قاعدة اسمها : شد الحبل ، أنت مع

ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

جماعة ، مع أصدقاء ، مع فئة ، مع أصحاب ، مع زملاء، مع جيران ، كلهم إن استطعت أن تشدهم إليك ، إلى الصلاة ، إلى غض البصر ، إلى العبادة الصحيحة ، إلى العمل الصالح ، ابقَ معهم ، أما إن استطاعوا أن يشدوك إليهم فدعهم ، لكن بنعومة .

أنا لي تعليق لطيف : عندنا حركة شاقولية ، وحركة مائلة ، بتركهم بحركة مائلة .

((أَحْبِبْ حبِيبَكَ هَوْنا مَّا))

[الترمذي عن أبي هريرة]

خط صاعد .

((وأَبْغِضْ بغيضَكَ هَوْنا مَا))

[الترمذي عن أبي هريرة]

هذه اسمها نعومة ، لذلك سيدنا عمر يقول : ليس بخيركم من عرف الخير ، ولا من عرف الشر ، ولكن من عرف الشرين ، وفرق بينهما ، واختار أهونهما ، فيها موازنة .

الدكتور بلال :

هذا فقه مصلحة ، سيدي إذاً المرأة ليست تابعة للرجل ، مساوية له .

الدكتور راتب :

مستقلة أصلاً في دينها عن زوجها .

الدكتور بلال :

ومساوية له في التكليف .

مساواة المرأة للرجل في التكليف و التشريف و المسؤولية :

الدكتور راتب :

بالمناسبة ، ما دام طرحت هذا السؤال ، المرأة مساوية للرجل في التكليف ، والتشريف، والمسؤولية ، مكلفة كما هو مكلف ، مشرفة كما هو مشرف ، مسؤولة كما هو مسؤول ، ولكن ماذا نفعل بقوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

[سورة آل عمران: 36]

نقول : خصائص الرجل الجسمية ، والفكرية ، والنفسية ، والاجتماعية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، وخصائص المرأة الجسمية ، والفكرية ، والنفسية ، والاجتماعية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها، هما متكاملان ، وليسا متساويين .

ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

الدكتور بلال :

إذاً ليس من الصحيح هذا السؤال الذي يطرح ويثير دائماً هذه الجدلية والإشكالية أيهما أفضل المرأة أم الرجل ؟ الذكر أم الأنثى ؟

الدكتور راتب :

أضرب مثلاً لطيفاً : أيهما أفضل سيارة الركاب الكبيرة التي تحمل خمسين راكباً أم الشاحنة ؟ هذا ليس سؤالاً ، لنقل البضاعة الشاحنة أهم ، لنقل الركاب البولمان أهم .

الابتعاد عن الموازنة بين المرأة و الرجل :

الدكتور بلال :

كلٌ في مهمته .

الدكتور راتب :

أبداً هناك مهمات ، الموازنة غلط ، أنا أتمنى ألا توازن ، وألا تعمم .

عفواً ؛ لا تقل : كل الناس ، كل أصحاب الحرفة ، لا تعمم ، الله لم يعمم ، قال :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

[سورة آل عمران: 199]

الدكتور بلال :

من للتبعيض .

الدكتور راتب :

ما قال : إن كل أهل الكتاب ، من ، لا تعمم ، ولا تقل : هذا الحق قطعاً ، قل : أرى، أعتقد ، أتصور ، أظن ، لا تعمم ، الله لم يعمم ، قال :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾

[سورة آل عمران: 199]

ما قال : إن أهل الكتاب .

الدكتور بلال :

إذاً سيدي المرأة في مهمتها ، والرجل في مهمته ، ما المهمة الرئيسة للمرأة وما المهمة الرئيسة للرجل؟

الرجل و المرأة متكاملان و ليسا متساويين :

الدكتور راتب :

والله أنا فيما أتصور هما متكاملان وليسا متساويين .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم: 22]

ومن آياته الشمس والقمر ، والليل والنهار .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

[سورة الروم: 21]

الرجل يفتقد لعاطفة جياشة ، لذلك يسكن إلى زوجته ، والزوجة تسكن إلى القوة والقيادة الحكيمة ، إذاً تسكن إلى زوجها ، هما متكاملان ، وليسا متساويين .

الدكتور بلال :

هذه المرأة المجادلة ، قالت له : لي منه أولاد إن ضممتهم .

الدكتور راتب :

إليّ جاعوا .

الدكتور بلال :

هو مهمته الإطعام ، السعي .

الدكتور راتب :

وإن تركهم إليه ضاعوا ، أنا أربيهم ، فالله سمع شكواها من فوق سبع سماوات ، معنى هذا يوجد تبادل مهمات ، الرجل قيادي ، المرأة عاطفية ، العاطفة يفتقر إليها ، فيسكن إلى زوجته ، والزوجة تفتقد لقيادة حكيمة ، وقوة ، تسكن إليه .

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم: 21]

وهذه آخر كلمتين دقيقتين جداً : الحقيقة إذا الزوجة كانت وفق طموح زوجها صار هناك مودة ، وود ، وإذا كان الزوج وفق طموح زوجته ، يوجد مودة ، لكن الزوجة مرضت ، أو الزوج مرض ، هذه المؤسسة وجدت لتبقى ، إما أن تبقى بالمودة ، أو بالرحمة ، أو بكليهما ، يوجد أولاد ، ما دام هناك أولاد الفراق يسبب مرضاً اسمه : انفصام بالشخصية للأطفال ، هذه أمه ، وهذا أبوه .

الدكتور بلال :

إذاً المرأة عندما تقوم في بيتها بمهمتها الرئيسة في تربية أولادها لا ينبغي أن تتذمر من وجودها بغض النظر عن قواعد عملها خارج البيت ، هناك نساء يعملن ضمن ضوابط الشرع لكن عندما تتذمر لماذا أنا في البيت هذه مشكلة .

الدكتور راتب :

إذا كان طياراً ، أنا لماذا أجلس بهذه الغرفة الصغيرة ؟ معك أربعمئة راكب .

الدكتور بلال :

أنت مهمتك .

الدكتور راتب :

مهمتك أن تقود طائرة ، هذا مكان القيادة .

الدكتور بلال :

فمكانها مهم جداً في رعاية أولادها .

الدكتور راتب :

فأنا بالتعليم أربعين سنة تقريباً ، أجد شاباً نظيفاً ، أنيق ، أديباً ، متفوقاً ، أقسم بالله أقول : له أم كبيرة ، مربية ، عظيمة ، لذلك قالوا : لا يوجد رجل ناجح وإلا وراءه امرأة عظيمة .

خاتمة و توديع :

الدكتور بلال :

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ لم يبقَ في نهاية هذا اللقاء إلا أن أشكر لكم حسن المتابعة بعد أن أشكر لشيخنا حسن الأداء ، والخطاب .

جزاكم الله خيراً ، وأسعد أوقاتكم بكل خير ، إلى أن نلتقيكم نستودعكم الله دينكم وأمانتكم ، إلى الملتقى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته